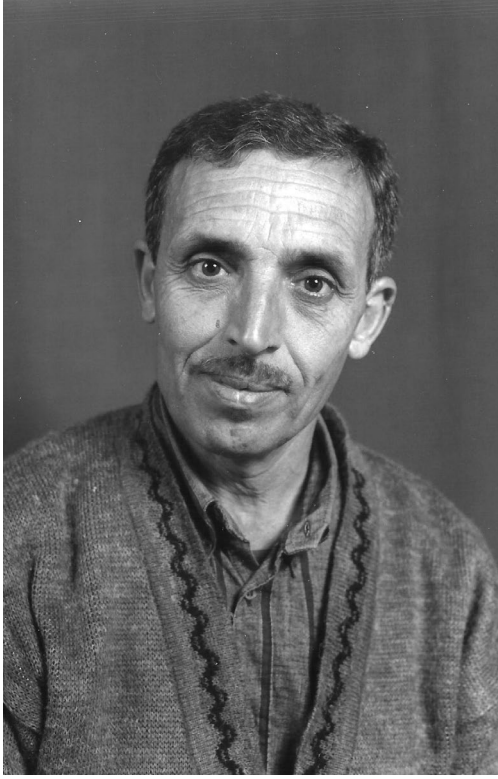


أبو الرائد زكريا ذكريات ضابط في مدفعية الثورة الفلسطينية عوني فارس



أبو الرائد عام ١٩٩٦

تتناول هذه الدراسة سيرة أبو الرائد زكريا في صفوف الثورة الفلسطينية المعاصرة، وتسليط الضوء على تجربته في تشكيلاتها المقاتلة في إبان تواجدها في الأردن وسورية ولبنان، خصوصاً في المحطات الرئيسية التي مرت بها: مثل تأسيس منظمة التحرير، وظهور جيش التحرير الفلسطيني، وبروز الفصائل الفلسطينية المقاومة وحروبها مع «إسرائيل»، والمواجهات التي خاضتها مع النظام الأردني، ومشاركتها في الحرب الأهلية في لبنان.

تغطي هذه الدراسة الفترة الزمنية ما بين ١٩٦٥-١٩٨٣ م^١ وتعتمد على خمس مقابلات مطولة أجراها الباحث مع أبو الرائد زكريا في الفترة ما بين ١٩-٢٠١٢/١٢/٢٩ م. في منزله في بلدة سلواد. بالإضافة إلى الرجوع لعدد من المراجع والمصادر وبعض المقابلات الشخصية الأخرى مع من شاركوه مشواره النضالي.

أبو الرائد زكريا : سيرة ذاتية^٢

ولد أبو الرائد زكريا في بلدة سلواد سنة ١٩٤٣ م، ووالده هو عبد القادر علي إسماعيل. فلاح فلسطيني عمل مزارعاً وحجّاراً في سلواد وفي حيفا. حيث عاش فيها في أربعينيات القرن الماضي. أمّا والدته فهي رسمية سليم العناتي. وقد هاجرت العائلة إلى الأردن سنة ١٩٥١ م بعد أن ساءت أحوال الفلسطينيين في الضفة الغربية. فسكنت حيناً درج فرعون والأشرفية. وهما من أحياء عمان الفقيرة والمهجورة في حينه. وعمل الوالد حجّاراً في منطقة ماركة مدة عام، ثمّ عاد إلى سلواد. أنهى زكريا الصف السادس. ثمّ التحق بسوق العمل.

تهدف الدراسة إلى إبراز جانب من الرواية «المقاتلة» لتاريخ الثورة الفلسطينية المعاصرة. التي نحتها آلاف الفدائيين من الذين لم يولوا أي اهتمام للبرامج السياسية والخطوات الدبلوماسية والتبريرات الأيديولوجية لمقاومتهم. وأمّنوا بأنّ الثورة بندقية تقاتل وبلد يُحرّر، فكانت فلسطين بوصلتهم. والرصاص برنامجهم. والميدان فعلهم. على أنّ الأدبيات الفلسطينية المتخصصة بالتاريخ للثورة الفلسطينية المعاصرة لم تعطِ هؤلاء المقاتلين حقهم. حين ركّزت على إبراز رواية مجموعة القادة المؤسسين. وأولت اهتماماً أكبر لبعض المحطات دون غيرها. ومنحت أيضاً الجانبين السياسي والأيديولوجي مساحة أكبر في السرد والنقاش والتحليل. الأمر الذي أخرج نصّاً فلسطينياً منقوصاً. ولعل الاستعانة بذاكرة مقاتل عايش فصول الثورة الدامية، فاكتوى بنارها كما خبّر نشوتها وانكساراتها يسد ثغرة ولو بسيطة في المجال.

* باحث في التاريخ الفلسطيني ويحمل شهادة الماجستير في الدراسات العربية من جامعة بيرزيت.

وسافر إلى الكويت في بداية ستينيات القرن الماضي. وعمل مدة قصيرة إلى أن التحق بصفوف جيش التحرير الفلسطيني.^٢ حيث اجتاز عدة دورات عسكرية بإمرة ضباط عراقيين. وعسكر مع قوات جيش التحرير في الزعفرانية.^٤ وقد عايش في أثناء وجوده في العراق بعضاً من الأحداث. منها انقلاب عارف عبد الرزاق.^٥

خاض زكريا عبد القادر تجربة مريرة في حرب سنة ١٩٦٧ م. إذ توجه ضمن قوات القادسية^١ التابعة لجيش التحرير إلى الأردن برفقة وحدات من الجيش العراقي ولم يتمكن من القتال. في حين عمل سنة ١٩٦٨ م ضابط ارتباط بين الجيشين العراقي والأردني في منطقة خو.^٧ ثم أوكلت له مهمة ضبط أفراد جيش التحرير ومنع أي تصرفات قد تؤذي السكان. وشارك مع زملاء في تلك المرحلة في تشكيل فصيل فدائي تابع لجيش التحرير الفلسطيني تحت مسمى قوات التحرير الشعبية.^٨

انضم أبو الرائد زكريا إلى منظمة فلسطين العربية.^٩ ثم ما لبث أن التحق بحركة فتح سنة ١٩٧٠ م. وقد ألقى القبض عليه في أحداث أيلول من ذلك العام. وأفرج عنه لاحقاً. فغادر إلى سورية. وانضم إلى كتبية شهداء أيلول^{١١} بقيادة عارف خطاب.^{١٢} ثم انتقل إلى الساحة اللبنانية. فخدم في أكثر من منطقة. وساهم مع غيره من ضباط الثورة في تدريب كوادر من الحركة الوطنية اللبنانية. وقد شارك زكريا في القتال ضد الكتائب اللبنانية وحلفائها.^{١٣} وخاض عدة معارك في منطقة البقاع. والتحق بدورة عسكرية في مصر سنة ١٩٧٣ م. وقد اندلعت حرب تشرين الثاني وهو في الغوطة. فشارك مع بعض مقاتلي الثورة الفلسطينية في تنفيذ هجمات ضد الجيش الإسرائيلي.^{١٤}

أصبح أبو الرائد ضابطاً في مدفعية الثورة الفلسطينية في إبان الحرب الأهلية اللبنانية. إذ شارك في الدفاع عن المخيمات الفلسطينية وخصوصاً تل الزعتر.^{١٥} وشارك أيضاً في المواجهات بين قوات الثورة الفلسطينية والجيش الإسرائيلي سنة ١٩٧٧ م. وفي أثناء الاجتياح الإسرائيلي للبنان في سنتي ١٩٧٨ م و١٩٨٢ م. إذ كان حينها مسؤول نار المدفعية في القوات المشتركة في جنوب لبنان.^{١٦}

ساهم أبو الرائد زكريا في تكوين الخلايا الأولى للمقاومة الفلسطينية واللبنانية بعد الاجتياح الإسرائيلي للبنان سنة ١٩٨٢ م. وخصوصاً في قرية أنصار. وأسر وسُجن في سجن أنصار ومجدو. ثم خرج إلى الجزائر بعد صفقة التبادل سنة ١٩٨٣ م. اقترب من المعارضة الفلسطينية داخل حركة فتح. وخصوصاً بعد خروج المقاومة من لبنان. وأصر على العودة إلى

لبنان. فوصلها وأعاد تشكيل المدفعية ليدافع عن المخيمات الفلسطينية في وجه حركة أمل. وبقي في لبنان إلى أن عاد إلى فلسطين سنة ١٩٩٨ م.

ضابط في جيش التحرير

ساهمت العديد من العوامل في دفع أبو الرائد زكريا على الانضمام إلى جيش التحرير الفلسطيني.^{١٧} فقد نشأ في بيئة وطنية. وترى على حكايات المواجهات بين أهل بلدته والجيش البريطاني.^{١٨} وكان للهزيمة سنة ١٩٤٨ م ورؤيته لعشرات الآلاف من اللاجئين الفلسطينيين وهم يتدفقون على مدن الضفة الغربية وقراها وقع الصدمة على نفسه. إضافة إلى «سنوات الجوع»^{١٩} التي قضاها الفلسطينيون في الأردن في إبان خمسينيات القرن الماضي. ثم بداية ظهور بوادر للانبعاث الثوري. الذي قادته مجموعات فلسطينية في أكثر من دولة عربية: منها الكويت التي تواجد فيها في ستينيات القرن الماضي.

شكل انضمام أبو الرائد زكريا إلى جيش التحرير فرصة قوية لبناء مهارته القتالية بطريقة علمية. فقد أكمل عدة دورات تدريبية في العراق بين سنتي ١٩٦٥-١٩٦٨ م. لكن مؤهلاته العسكرية لم يكن لها أن تختبر في ميادين القتال إلا بعد خروجه من جيش التحرير والانضمام إلى حركة فتح.

يقول عن مرحلة انضمامه إلى جيش التحرير:

انتسبت إلى جيش التحرير من خلال مكتب منظمة التحرير في الكويت إليّ كان مسؤول عنه شكري أبو غربية^{٢٠} وخير الدين أبو الجبين.^{٢١} حاول أبو غربية إقناعي بعدم الانضمام لجيش التحرير بحجة أن راتي في الكويت كان أعلى بكثير من راتي الذي سأتناقضاه في جيش التحرير. ويبدو أنه كان يختبرني. فأصررت على الانضمام للجيش. وأكدت له بأنني أرغب في المساهمة بتحرير بلدي ولست سائلاً عن المال. ذهبت إلى العراق في ١٩٦٥/٥/٢٣ ودخلت دورات صاعقة ومظلات وتدريب على الكوماندوز. وتدرينا علوم عسكرية مختلفة. كان التدريب كله شرقي. كان المدربين عراقيين. وكنا حوالي ٥٠٠ شخص. وكان معي في دورات جيش التحرير شباب من سلواد مثل عبد الرحمن رزق وجمال صقر ومحمد المكحل وريحي قدورة وكان مسؤول عنا جبر عمار.

وقتها تم تشكيل قوات القادسية تحت إمرة الجيش العراقي. طبقاً كان عنّا ضباط فلسطينيين في جيش التحرير في العراق منهم المقدم أيوب عمار من إجزم قائد قوات القادسية والمقدم بهجت عبد الأمين والنقيب فخري شقورة ونعيم راجح وحسين أبو الهيجا وعمر فريد ومحمد قاسم.

هزيمة سنة ١٩٦٧

أحدثت هزيمة حزيران سنة ١٩٦٧ م هزة عنيفة داخل جيش التحرير. إذ أيقن أغلب منتسبيه بأنّه غير مهياً للقتال. فقد تركت قواته مكشوفة أمام طائرات العدو. ولم تتمكن من المشاركة الحقيقية في القتال كما كان متوقعاً. بل إن ما تبقى من أفرادها وصل أريحا بعد أن أعياه التعب وشتته القصف. ثمّ أتته الأوامر بالانسحاب الذي كان أكثر صعوبة وإيلاماً. ويبدو أن الأوضاع التي عاشها منتسبو القادسية بعد الحرب في معسكرهم في خو. أكدت ضعف الجيش وقلة استعداده. وخصوصاً بعد انسحاب الجيش العراقي من المنطقة. والذي كان يشكل عنصر ضبط وحماية لمنتسبي جيش التحرير.

شاهد أبو الرائد زكريا في إبان إشغاله منصب ضابط الارتباط بين الجيشين العراقي والأردني. ما ألت إليه الأوضاع؛ فأكد على أنّ ضباط وجنود جيش التحرير أصبحوا أكثر تسبباً واستهتاراً وركوناً إلى حياة اللهو. وبدأت المشاكل مع الجيش الأردني والأهالي. وظهر للعيان بأن تحقيق هدف الاشتباك مع العدو بغية التحرير صار بعيد المنال. وهذا ما يفسر بحسب أبو الرائد زكريا. محاولات بعض ضباط وكوادر جيش التحرير تجاوز الحالة المتردية والبدء بالتخطيط لعمل مقاوم بعيداً عن الصفة الرسمية. فأسسوا جناحاً فداًئياً مقاوماً تابعاً لجيش التحرير وسّمّوه قوات التحرير الشعبية. وذلك في شباط/فبراير ١٩٦٨. وقد عمل أبو الرائد زكريا ضمن هذه القوات بإمرة الضابط أبو طعان^{٢٢}.

بدأ التشكيل الجديد بالقيام ببعض المهام العسكرية ضد جيش الاحتلال الإسرائيلي^{٢٣} في أكثر من موقع مثل الكرامة والشونة وعجلون^{٢٤} والطورة^{٢٥}. الأمر الذي جعله في مواجهة مع قوات الاحتلال الإسرائيلي. وكذا مع قيادة جيش التحرير. واستقرت قناعة لدى أبو الرائد زكريا ومجموعة من الضباط بضرورة الخروج من جيش التحرير. وخصوصاً بعد حدوث سلسلة من الصدامات بين المجموعات الفدائية وجيش التحرير

عقب كل اشتباك مسلح أو مهمة خاصة ضد الاحتلال الإسرائيلي.

أصبح همّ أبو الرائد البحث عن حاضنة ثورية تسمح له بتحقيق طموحه بالمشاركة في معركة تحرير فلسطين. وتطبيق ما تعلّمه في الدورات العسكرية في العراق. فكان أن توجه لمكتب حركة فتح في عمان بمساعدة ربحي موسى أبو أيمن^{٢٦} طالباً الالتحاق بها. ثمّ التقى في الفترة نفسها بأحمد زعرور^{٢٧} فانضم إلى منظمة فلسطين العربية ليصبح مسؤولها العسكري. لكن الأمور سارت باتحاه آخر: إذ اعتقل بعد خمسة أيام من اندلاع المواجهات بين الجيش الأردني والفصائل الفلسطينية سنة ١٩٧٠ م.

تقييم لأحداث أيلول

يعتمد تحليل أبو الرائد زكريا للأوضاع التي قادت إلى أحداث أيلول في الأردن على معطيات ميدانية بحتة. فلا يتوقف كثيراً عند التفسيرات ذات المنحى الأيديولوجي مثل طبيعة الصراع الطبقي في الأردن. أو ذات المنحى السياسي التي تركز على فرضية تضارب برنامج المقاومة الذي مثّله الفصائل الفلسطينية وبرنامج الدولة الذي مثّله النظام الأردني. ولعلّ ذلك عائد إلى طبيعته العسكرية وانكبابه على الفعاليات الميدانية. فهو يرى أن سلوك التنظيمات الفلسطينية السلبى تجاه الشعب الأردني المنحاز للمقاومة الفلسطينية كان عاملاً حاسماً في اندلاع المواجهات. فالتنظيمات الفلسطينية في ذلك الوقت. بحسب شهادته. انقسمت إلى قسمين: قسم ارتضى لنفسه العيش في المعسكرات. وتنفذ المهام الوطنية الموكلة إليه. وتحمل الضربات الإسرائيلية المؤلمة التي كان يوجهها سلاح الجو الإسرائيلي لتجمعات المقاومة الفلسطينية ومعسكراتها على طول الحدود الأردنية مع فلسطين؛ وقسم مارس حياة الفوضى واللهو والفساد في المدن الأردنية وخصوصاً العاصمة عمان. وأغضب بتصرفاته السكان والنظام الأردني. يقول عن هذه المرحلة:

كانت الأحداث مأساوية. بصراحة لعبت التنظيمات الفلسطينية دوراً سلبياً. كان فيهم ناس فاسدين كثير. كان في اعتداء من قبل عناصر التنظيمات على حرّات الناس وأعراضهم وممتلكاتهم. كان عناصر من



صورة عائلية مع زوجته وأولاده عام ١٩٧٤

في مصر والاتحاد السوفياتي والصين وغيرها. وافتتحت الفصائل الفلسطينية مراكز تدريبية في معسكراتها لتخريج الكوادر. لكن المقاومة الفلسطينية لم تكن مستعدة لاحتمالات مواجهة شاملة مع قوات الاحتلال الإسرائيلية كالتى حدثت في ١٩٧٣ م. رغم ما أبدته بعض مجموعاتنا من مهارات قتالية في إبان الحرب. وحسب أبو الرائد زكريا فقد عانت المقاومة الفلسطينية من ضعف التنسيق مع الجيش السوري الذي كان يسيطر على المنطقة محور نشاطاته وجماعته. بعكس ما أشارت اليه بعض الأدبيات الفلسطينية التي تحدثت عن تنسيق عالٍ مع وحدات الجيش السوري.^{٢٠} يقول عن مشاركته في الحرب:

ذهبت إلى دورة في مصر مع ٤٠ فلسطينياً. قبل حرب ١٩٧٣. كان في الدورة أكثر من ٢٠٠ مصري. تعرضنا لاختبارات قاسية قبل القبول في الدورة منها القفز في نهر النيل من ارتفاع ٢٤ مترًا والمشى ممسكًا بالحبال قاطعًا النهر من الضفة إلى الضفة بمسافة حوالي ١٠٠م. كان معي واحد اسمه أبو ناصر وقد أخذنا معًا تقديرًا متقدمًا جدًا. وتسلمنا الشهادات من الشاذلي وكان وقتها رئيس الأركان^{٢١}.
انتخبنتي القيادة للذهاب في دورة إلى

التنظيمات تعمل في التهريب. كان في مخازن لتهريب الدخان الأجنبي. كان في اعتداء على عناصر من الجيش الأردني. وكانت أيام فوضى. الحق أننا كنا نعاني كثيرًا في المعسكرات. كنا لا نلقى لقمة نأكلها وعلى أجسادنا القمل والوسخ في حين كان كثيرون ممن حسبوا على الفدائيين موجودين في عمان. ويمارسون حياة اللهو والترف. كان تصرف الأردنيين قبل أحداث أيلول جيدًا. مرة جاء واحد من دار المجالي وعرض علينا انضمام أكثر من ١٠٠ مسلح للثورة. كان حيدر مصطفى ضابط المدفعية في الجيش الأردني كان له مواقع في الأغوار وشارك معنا في المعارك ضد العدو.^{٢٩} الشعب الأردني إجمالاً طيب ولكن كان في عتًا زعران. كان في عتًا فوضى وأعمال لا أخلاقية.

دخول لبنان وتجربة حرب ١٩٧٣

تظهر رواية أبو الرائد زكريا حول العمل المقاوم بداية سبعينيات القرن الماضي تطورًا كبيرًا في الاستعدادات الفلسطينية للمواجهة مع الاحتلال الإسرائيلي. فقد التحق الكثير من الفدائيين بدورات تدريبية متخصصة

الصين مدة ستة أشهر. وقبل الدورة أرسلونا نُدرب في حموريا (الغوطة) كان معي عثمان أبو غربية^{٢٢} ويحيى رباح^{٢٣}. بعد مضي شهرين في الدورة التدريبية كان في مؤتمر صحفي وكان في صحفيين غربيين منهم ألمان.

أثناء المؤتمر بدأت الحرب. فجأة صار الطيران كثيفاً جداً. هربنا من مدرسة الكوادر^{٢٤} وقررنا الاتجاه إلى لبنان. كنا أنا وعثمان وعشرين كادراً. كان في مواقع إسرائيلية محصنة قبالة كفر شوبا اسمها أوريسات الرمثا وأوريسات العَلَم. قسمنا حالنا ٣ مجموعات: مجموعة بقيادتي وأخرى بقيادة عثمان والثالثة بقيادة يحيى رباح. وعلى أساس ضرب المواقع الإسرائيلية، وإذا بأبي جهاد يتصل بنا ويلومنا على هذا القرار. لأن المنطقة التي كنا فيها كانت ساقطة أمنياً. ولو بدأنا بضرب المواقع الإسرائيلية لقضوا علينا. لذا أعدنا توزيع أنفسنا من جديد. كان سهل الحولة تحتنا وكان فيه الدبابات الإسرائيلية. واستمر القتال معنا حوالي ٣ أشهر. كنا نقصف الدبابات بقذائف B7. وكان السلاح يأتي لنا محملاً على البغال. ويصل قريباً من كفر شوبا. أحياناً كانت البغال تهرب بالسلاح.

طبعاً أثناء ذلك لم يكن بيننا وبين السوريين أي تنسيق. بعد وقفنا المشرفة كان العميد هلال قائد الجبهة الجنوبية في سورية يعاير جماعته كيف نحن مبدعين وهم لا. صدر الأمر لنا بالانسحاب بعد أن بدأ الحديث عن وقف إطلاق النار وعسكرنا في عين عطا قرب مرج الزهور.

الانضمام إلى كتيبة المدفعية

تعطي رواية أبو الرائد زكريا تفاصيل جيدة عن دور المدفعية الفلسطينية في سبعينيات وثمانينيات القرن الماضي. نظراً إلى التحاقه بالمدفعية في تلك الفترة. حيث بدأ فيها كمساعد قائد بطارية ثم نائب قائد بطارية ثم ضابط ملاحظة مخول حيث أصبح مسؤولاً عن منطقة بكاملها.^{٢٥}

كانت مدفعية الثورة الفلسطينية في بداياتها مؤلفة من مدافع مورتر صغيرة الحجم وقليلة المدى ومدافع الهاون. وقد طرأ عليها تغيير أساسي بعد

معركة الكرامة. وتحديداً في سنة ١٩٧١ م. حين شكّلت أول كتيبة للمدفعية الفلسطينية. وكان أن اختبرت قوتها حين شاركت بنجاح في معركة الأيام الأربع في العرقوب سنة ١٩٧٢ م. وتقدمت أكثر مع جهود اللجنة العلمية التي سعت لتطوير سلاح المدفعية ليكون مناسبة لطبيعة المواجهة مع الاحتلال الإسرائيلي.^{٢٦} وأنشئت غرفة عمليات وقيادة مركزية أطلق عليها مدفعية القوات المشتركة الفلسطينية. إذ ضمت عناصر من حركة فتح والشعبية وغيرها من الفصائل. وهذا ما تؤكد روايات عدد ممن عملوا في المدفعية. وكذا بعض الدراسات المتخصصة عن هذه المرحلة.^{٢٧}

وقد زاد من فاعلية سلاح المدفعية دخول عناصر مدربة ومهنية من الجيش الأردني وجيش التحرير في صفوف الثورة الفلسطينية بعد الخروج من الأردن. إضافة إلى حصول المقاومة الفلسطينية على صفقات سلاح تتضمن عدة أنواع من القاذفات المدفعية والصواريخ. كما ساهم انشقاق الضابط أحمد الخطيب^{٢٨} عن الجيش اللبناني في تعزيز قدرات المدفعية الفلسطينية: إذ أمدها بكمّ كبير من أسلحة الجيش اللبناني منها «مدافع هاوتزر من عيار ١٢٢ ملم و١٥٥ ملم ومدافع من عيار ١٣٠ ملم على مصفحات وصواريخ موجهة مضادة للدبابات. وعلى مدافع مضادة للطائرات وعربات إسناد وكميات كبيرة من الذخيرة»^{٢٩}. وقد أصبحت المدفعية الفلسطينية مكونة من أربع كتائب بالإضافة إلى وحدات صواريخ وبطاريات.^{٣٠}

ميدانياً كان لمعارك فك حصار مخيم تل الزعتر التجربة العملية الأكثر أهمية وبروزاً بالنسبة إلى المدفعية الفلسطينية. وإلى صعود نجم أبو الرائد زكريا بين زملائه المقاتلين باعتباره ضابط مدفعية يمتلك أكثر من غيره. مهارة في الأداء^{٣١} ودقة في التصويب.^{٣٢} أربكت المحاصرين وأوقعت خسائر مباشرة في دباباتهم.^{٣٣} ولكون المخيم محاصراً. لم يكن بالإمكان إمداده بالسلاح. فأخذت «المدفعية الفلسطينية على عاتقها واجب الإسناد والحماية طوال فترة الحصار وذلك ببناء حزام ناري. يشمل محاور التقدم إلى المخيم كافة. ولقد سجلت قوات المدفعية الفلسطينية في هذا المجال. أول استخدام للمدفعية الثقيلة على هذا النحو. من ضرب لأهداف قريبة من قواتها وما ينطوي على ذلك من خطورة. ولحاجته إلى درجة عالية من الدقة في الرمي. بلغت ذروتها. حين أرغمت المجموعات المسلحة التابعة للكتائب اللبنانية الأهالي على الانسحاب من مخيم تل الزعتر باتجاه الجبل. وكان ذلك تحت إسناد قريب ومواكبة لهم من قبل المدفعية»^{٣٤}



صورة عائلية لأبي الرائد ووالدته وزوجته وأولاده، في أقصى اليسار ابنه راند الذي استشهد في لبنان وهو لم يتجاوز الـ ١٣ سنة. التقطت الصورة عام ١٩٧١.

١٩٧٧ أصبحت خبيراً في المساحة والرمي والاتجاهات. طبعاً تأكد أنني أثناء القصف كنت حريصاً جداً، كنت أتجنب المدنيين. كان ندائي الشخصي على اللاسلكي ٩-١ يحدث استنفار لدى العدو. كان لدينا أجهزة راجال روسية الصنع أجهزة اتصال ثابتة. الحق أن الحرب الأهلية كانت مفروضة علينا، ولم نكن نريدها. وهذه الحرب بعكس الأردن إضطررنا إليها. ومن المواجهات التي كان للمدفعية فيها دور متقدم وشاركت فيها بقوة عندما كانت قوات الانعزاليين تحاصر تل الزعتر، وقد ارتكبت مجازر هناك. كان تركيز الانعزاليين على المدنيين، لم يكن تل الزعتر موقعاً استراتيجياً ولم يحو مواقع للمقاومة مهمة. كان تل الزعتر يبعد عني ٢٠ كم، يعني في مرمى نيراني، كنت متمركزاً في الجبل في منطقة عاليه، كانت منطقتي كلها دروز ومسيحيين. تحديداً في قرية عين قصور.

اتصلت مرة في المشاة وقالوا لي نحن نعاني من مذبحه وانسحبنا تحت الضغط. اتصلت في أبو رعد وأعطوني أماكن تواجد الانعزاليين، كان الشباب [عناصر المقاومة الفلسطينية]

ويروي زكريا عن بداياته في المدفعية وكيف تطور أدائها. وعن مشاركته في فك الحصار عن تل الزعتر، فيقول:

بدأت الحرب الأهلية عندما كنت في البقاع، تحركت إلى الجبل حيث منطقة عالية وأبو رمانه والشوف، لم يكن عندنا مدفعية ولكن حصلنا على مدفع ميدان ١٣٠ روسي الصنع. ولما أحمد الخطيب انشق حصلنا على المزيد من السلاح، راجمات ٤٠ صاروخ و٣٠ صاروخ و١٢ صاروخ، وزن الصاروخ ٥٠ كيلو ومداه ٢١ كم، وهذا عدلنا عليه في اللجنة العلمية وأصبح مداه ٢٨ كم. في البداية لم أكن أعرف عنها شيء سوى معرفتي بالخرائط، ولكن تدريب عليها وأبدعت فيها. ولاحقاً أصبح لدينا كتيبة مدفعية بقيادة واصف عريقات،^{٥٥} وتدرجت في المدفعية إلى أن وصلت قبل عام ٨٢ إلى مسؤول نار المدفعية في القوات المشتركة في جنوب لبنان.

أول ما بدأنا كان لدينا خرائط مسح فرنسي لعام ١٩٤٥ وبعد اجتياح عام ١٩٧٨ أصبح لدينا خرائط مسح أمريكي حديث، فيها مقياس واضح ودقيق وسهلة في التعامل. كان هذا بالتعاون مع أحمد الخطيب ومساعديه، وعام

في الكحالة وكان من المتوقع أن يبادوا. لذا قمت بقصف مواقع الانعزاليين ومدفيعتهم. وتمكن الشباب من الخروج بسلام.^{٤١}

ذكريات المواجهة

مع الجيش الإسرائيلي ١٩٧٧-١٩٨١

تشير رواية أبو الرائد زكريا عن كتيبة المدفعية الفلسطينية أن التكتيك المتبع في سبعينيات القرن الماضي وثمانينياته لعمل المدفعية كان يقوم على إعلام قيادة المدفعية بأي عمل مقاوم على الحدود اللبنانية الفلسطينية من قبل القوات الفلسطينية المشتركة قبل حدوثه. من أجل الاستعداد للتدخل في حال الضرورة. وكانت تصلها أحياناً معلومات استخباراتية من دول صديقة عن هجوم إسرائيلي محتمل فتهيأ له قبل حدوثه. كما شنت العديد من الهجمات على مواقع الجيش الإسرائيلي في جنوب لبنان والمستوطنات الإسرائيلية شمال فلسطين في مناسبات متعددة.^{٤٧} وتسلط شهادة أبو الرائد زكريا الضوء على جانب من أحداث تلك المواجهات. ويلاحظ اعترازه بالأداء العسكري لكتيبة المدفعية في تلك المرحلة. فقد أوقعت خسائر بالجيش الإسرائيلي. وتمكنت من تجنب نفسها خسائر كبرى^{٤٨} فيقول عن ذلك:

عام ١٩٧٧ كانت تحدث معنا مواجهات مع الجيش الإسرائيلي. حدث إنزال إسرائيلي في قلعة أرنون. التي تقع في الجنوب اللبناني في النبطية. كنت وقتها ضابط موقع. كان عندي ٣ مدافع ١٣٠ ملم يصل مداه إلى ٢٨ كم. كان قائد المدفعية واصف عريقات. جاء اتصال من الحاج إسماعيل قائد القوات المشتركة في الجنوب يريد واصف أو وحيد حسن. وما كان في حدا إلا أنا. أخبرني عن الإنزال. باشرت بالتعامل مع الموضوع. أخذت الخرائط وحددت النقاط والمواقع. وأصدرت التعليمات للمدافع. وبدأت بعملية قصف للمنطقة من العاشرة مساء حتى الصباح. ونتيجة للقصف حدث انسحاب إسرائيلي وفشل الإنزال.

وفي إحدى الأيام عام ١٩٧٧. كان معنا كثير ناس فدايين قادمين من بلدان أخرى مثل سورية والعراق ولبنان. كان معي واحد علوي.

يوم جاء أبو رعد وقال لي جاءتنا معلومات من السفارة السوفياتية عن غارات جديدة للجيش الإسرائيلي: لذا رتبنا الموضوع وبدأت بإعادة توزيع المدافع. وعسكرت في منطقة مخيم كفر بدا بين صور وصيدا. تحديداً في منطقة الزريرية. طبقاً كان في بساتين وجبال. طبقاً كنت أسحب المدفع وأثبته في مكانه الجديد. ثم أتى بالمدفع الثاني وهكذا. كنت مسؤولاً عن ثلاثة مدافع. وجهت مدفعاً باتجاه البحر ومدفعين على الجنوب. كان في طيران عالي كثير. يعني الوضع طبيعي. ولما أردت الاستراحة وما أن شلحت البوت [الحذاء العسكري] وإذا بطيران F16 يقصف علينا بكثافة. صاح الشاب العلوي من الخوف. وكانت ردة فعلي أن أصبح فيه وأصوب المسدس عليه وأتوعدة بالإعدام إذا ما صاح من جديد. فاسترد شجاعته. كنت أعالج الخوف بخوف.

ومن أحداث عام ١٩٧٧ استشهد شاب من سلواد هو عبد الرحيم مرعي.^{٤٩} هذا الفدائي كان في عين صاحب. وجاءت غارات كثيفة على دمر والهامة وعيتا الفخار وداعل في درعا. وقتها كان في عنده مساجين واستشهد وقبره في مقبرة الشهداء في مخيم اليرموك.

وفي عام ١٩٧٨ أثناء الاجتياح جرت معركة قوية في صفد البطيخ وقد بذلت المدفعية أقصى ما تستطيع. وقتها استحكمنا في معسكر كان شكّله سابقاً علي عامر قائد القوات المشتركة المصرية في منطقة عين المزاب. كُنّا ٢٠ شخصاً للمدفعية وفي مشاة وغيره.

بذكر قبل ذلك كان يرسل لي أبو جهاد طلاباً وأجانب يتدربون معنا. كان معي في هذا المعسكر شاب يوغسلافي اسمه برانسلاف. وكنا نطلق عليه أبو علي. صار الاجتياح. وانسحب الجميع. وبقينا في المدفعية صامدين. وقتها استشهد الشاب اليوغسلافي. وواحد من بيت زين الدين من صفد البطيخ. وفي واحد ثالث. أثناء المواجهة اتصل أبو رعد عريقات. وسأل عن الوضع. قلت له الوضع صعب. لكن انتظر. أحضر الشاحنات عند المغرب وحملت المدافع وتركت المعسكر. وقتها أبو عمار كان واقفاً عند جسر القاسمية. وشاهد المنسحبين من المشاة وبدأ يشتم فيهم.



أبو الرائد على يسار الصورة في الجزائر عام ١٩٨٣

ومنها المدفعية. منذ اللحظات الأولى من الهجوم الإسرائيلي. رغم علم منظمة التحرير المسبق باستعداد الجيش الإسرائيلي لتوجيه ضربة قوية إلى قواعدها.^{٥٠} فقد تأكدت قيادتها من ذلك عبر مصادر شرقية وغربية متعددة.^{٥١}

ويعلل أبو الرائد زكريا حالة الإرباك وعدم القدرة على الصمود في الجنوب إلى ضخامة القوة الإسرائيلية التي لم يكن بالإمكان مواجهتها لحظة هجومها على لبنان. وهذا ما أشارت إليه بعض الدراسات حينما عقدت مقارنات بين حجم القوتين الفلسطينية والإسرائيلية. فقد كانت قوة الفلسطينيين في الجنوب لا تتعدى الـ ٦٠٠٠ مقاتل و٦٠ دبابة و١٠٠ إلى ٢٠٠ قطعة مدفعية مقابل ٧٨٠٠٠ جندي إسرائيلي و١٢٤٠ دبابة و١٥٢٠ ناقلة جند مدرعة.^{٥٢}

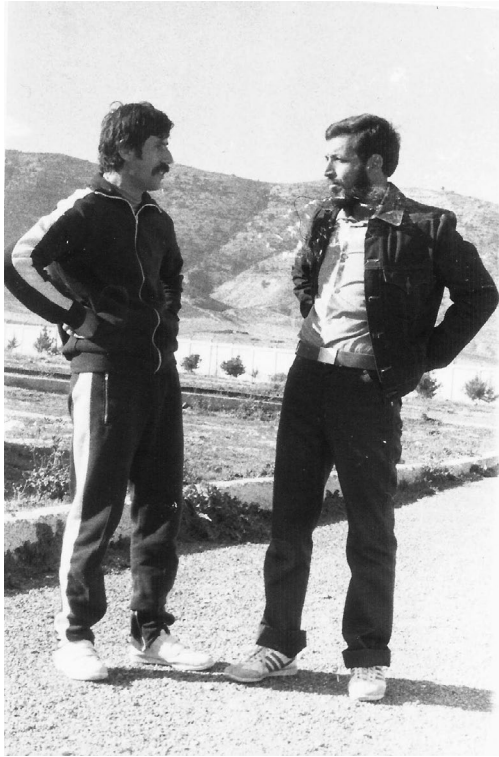
تمكّن الجيش الإسرائيلي من تعطيل أجهزة الاتصال الخاصة بالمدفعية الفلسطينية بسهولة. وأحدث حالة من الإرباك الشديد. وأخذ يتقدم بسرعة كبيرة تاركًا وراءه دمارًا هائلًا.^{٥٣} حيث لم يتمكن رجال المدفعية

ويعايرهم بالصامدين من قوات المدفعية. عسكرت في منطقة اسمها أبو الأسود بين صور وصيدا ووضعت المدافع في البساتين. وبدأت أقصف في منطقة صور في المحاور التي يتواجد فيها الجيش الإسرائيلي. كنت وقتها مسؤولاً عن رمي المدافع، وانسحب الجيش الإسرائيلي.

ومواجهة أخرى حدثت في مارون الراس وأدت إلى مقتل ٣٠ شخصًا في سيارة إسرائيلية بفعل قذيفة مدفع ميدان ١٣٠ ملم وعلى إثرها انسحب الجيش الإسرائيلي من المنطقة.

حرب لبنان ١٩٨٢

تؤكد رواية أبو الرائد زكريا حول الاجتياح الإسرائيلي للبنان سنة ١٩٨٢ م حالة التخبط التي أصابت التشكيلات الفلسطينية المقاتلة في جنوب لبنان.



أبو الرائد على يمين الصورة في الأيام الأولى من وصول إلى الأسرى المحررين إلى تبسة في الجزائر عام ١٩٨٣

وطلبني أبو رعد لاجتماع طارئ في النبطية. لضباط المدفعية. كانت النبطية تبعد عني حوالي ٢٤ كم. توجهت فوراً إليها بسيارة مدنية مرسيدس ٢٣٠ ولبلباس مدني. لكن داخل السيارة في خرائط وسلاحى الشخصى. ولما وصلت إلى مداخل النبطية كانت كلها محاصرة من الجيش الإسرائيلي. دخلتها وإذا الاجتماع منفص وما في حدا. النبطية عمته الفوضى. كانت الشوارع مليئة بالسولار والبنزين. دخول العدو كان سريعاً وبمئات الدبابات. ذهبت إلى الزهراني وكل الطرق كان مسيطر عليها من العدو. والزهراني فيها محطة بترول مشتعلة. توجهت إلى صيدا ولكن لم أستطع الوصول إليها لذا توجهت إلى صور.

في الطريق كانت الدبابات البرمائية تطلع من البحر. رأيت سيارة من نوع يونيميك روسية تابعة لنا مشتعلة وفي داخلها الشوفير وشخص آخر. استمرت في السير إلى عدلون (قرية شيعية) وفيها ملعب. وتقابلت مع قائد

من فعل أي شيء. فقد لاحقهم الجيش الإسرائيلي في كل مكان. حتى لجأ قائد المدفعية إلى الطلب من رجاله تدمير مواقع المدفعية وحرقت محتوياتها والتحول إلى مجموعات قتالية على الأرض.^{٤٤} ويروي أبو الرائد زكريا كيف سارت الأمور في الأيام الأولى للحرب. فيقول:

وفي عام ١٩٨٢ كنت حينها ضابط إدارة نار مدفعية القوات المشتركة في منطقة القطاع الغربي غرب جبل الشيخ. قائد المدفعية كلها كان واصف عريقات. القوات المشتركة تضم عناصر من جميع التنظيمات الفلسطينية بما فيها الحركة الوطنية اللبنانية. كان معي في المدفعية علي عثمان أبو ماجد من بيت عور ومعني أبو العبد. وكان معني أيضاً أبو ساطي من المزرعة الشرقية مسؤول اللاسلكي في المدفعية (كان عندنا أجهزة اتصال روسية متطورة راكال وأيضاً أجهزة أقل جودة تدعى بيغير).

قبل الحرب كان معروف أن إسرائيل تحضر لهجوم كبير. كانت تأتينا معلومات من جهات متعددة بهذا الكلام. كان أبو رعد كل يوم يتصل بي ويسأل عن الموقف. ويعطي تعليمات بالتحرك حسب الوضع وحسب تحركات العدو. كنت قبيل الحرب ساكناً في منطقة أبو الأسود وهي منطقة ساحلية بين أنصار ونهر القاسمية على طريق بيروت صيدا. كانت مدفيعتي تغطي ٢٨ كم. كانت المدافع والراجمات التابعة للقوات المشتركة حوالي ٤٠ منها ٢٧ مدفع لفتح.^{٤٥}

كان في غرفة عمليات مشتركة للمدفعية. كنت أوزع المدفعية وأجري عملية تموينه من خلال قطع أشجار السرو والصنوبر وربطها بالمدافع حتى تبدو المدافع مثل أشجار. كنت أتأكد من المواقع وأحسب حساب حجم المناورة التي يمكن للمدفع أن يتحرك فيها في حال حدث طارئ.

كنت قاعداً في البيت وفجأة هاجمنا الطيران بكثافة شديدة. ضربنا بصواريخ وزنها ١٠٠٠ - ١٥٠٠ باوند. تم عمل تشويش كامل على أجهزة الاتصالات الخاصة بنا منذ اللحظة الأولى. حملت الأولاد عند الجيران. الأمر كان خارج سيطرتنا وأكبر من علمنا الذي تعلمناه.

الحملة الإسرائيلية وجهًا لوجه. ومعها ٢٠٠ دبابة. كان سلاحه على رجلي. نزلت من السيارة ورفعت يدي. وبدأت الدبابات تمر بجانبني. قفزت في مجرى مائي قرب الشارع. عمقه متر. ضربوا سيارتي وحرقوها. مر عني وأنا في المنطقة حوالي ٧٠ دبابة اتجهت نحو الشمال. تمركزت باقي الدبابات في ملعب عدلون. طلعت باتجاه أنصار. رأيت ناس مقتولة في الشوارع.

طبعًا لاحظت أثناء الاجتياح في لبنان وقبله في المواجهات المختلفة في أوائل السبعينيات وفي الاجتياح ١٩٨٢ كان القصف الإسرائيلي دقيقًا جدًا. على مواقع المقاومة. والتصويب دقيقًا. كان استهداف المدنيين بالمعنى المجرد للكلمة. قليلًا جدًا. لكن القصف كان على مواقعنا قويًا ومركزًا. وقد استخدم الجيش الإسرائيلي القنابل الفراغية لضرب البنايات الكبيرة في بيروت وغيرها. وكانت هذه القنابل دقيقة لدرجة أنها كانت تصيب البنايات المستهدفة نفسها دون غيرها.

في قبضة الجيش الإسرائيلي

تمنح رواية أبو الرائد زكريا حول الأيام الأولى من الاجتياح الإسرائيلي للبنان سنة ١٩٨٢ م صورة عن البدايات الأولى للمقاومة. فقد تمكن مع عشرين عنصرًا فدائيًا من مشاغلة القوات الإسرائيلية عند قرية أنصار لعدة أيام. وإيقاع عدد من الإصابات في صفوفها.

وتؤكد روايته عن المقاومة في لبنان صورة مشابهة لما عليه الحال في مختلف محطات المواجهة بين الاحتلال الإسرائيلي والمقاومة الفلسطينية في الضفة الغربية وقطاع غزة. إذ يواجه المقاوم في كلا الحالتين. وبكل صلابة وتحدي. منظومة سياسات استعمارية قائمة على معادلة من شقين «الأسر أو القبر». محاولاً كسر هذه المعادلة للوصول إلى معادلته هو القائمة على «النصر أو النصر». كما تبين روايته تشابه واقع المعتقلات الإسرائيلية التي أقيمت لاستيعاب آلاف الأسرى الفلسطينيين واللبنانيين سنة ١٩٨٢ م وتلك التي أقامها الاحتلال الإسرائيلي في إبان اجتياح الضفة الغربية سنة ٢٠٠٢ م. من حيث توزيع الأقسام والاحتفاظ وسوء المعاملة وقلة الأكل ونقص الضروريات الأساسية للحياة. ومن حيث نمط النضال داخل المعتقلات وكيفية إدارة الأسرى لحياتهم اليومية.

وقع أبو الرائد زكريا في أسر مجموعة من عناصر سعد حداد. سلمته إلى الجيش الإسرائيلي. الذي باشر بالتحقيق معه. أنكر صلته بالمدفعية رغم التعذيب الشديد الذي صُبَّ عليه. وقد جنبه ذلك مصيرًا صعبًا كان بانتظاره وانتظار زملائه لو أدلى بإفادة عن نشاطه الحقيقية^{٥١} يقول عن تجربته في الأسر:

وصلت إلى مجدو وهناك كان في آلاف من الأسرى. كان في خيم في ساحة كبيرة. الأكل قليل جدًا كان في تعذيب. مكثنا في الخيم شهر. كان كل ٣ أسرى لهم بيضة واحدة. وعلبة المريس نصف كيلو لحوالي ٦٠ شخصًا. ثم نقلونا إلى سجن مجدو. اتفقت أنا و٢٠ أسيرًا ممن يعملون معي على المدفعية أن لا يعترفوا علي إلا بالقول أنني ضابط عهدة فقط.

وهناك ارتحنا شوي كان أكلنا نعمله نحن وفي ماء ساخن. وزارنا الصليب الأحمر. بعد شهرين نقلونا إلى أنصار. كان في سجن أنصار ٣٥ معسكرًا للجيش. مساحة كل معسكر لا تتجاوز ٧٠٠ م^٢. يحاط المعسكر بشبك حلزوني بعرض ٤ متر وارتفاع ٣ متر. وحوله أبراج ومحاط بشوارع ... وضع في كل معسكر ٥٠٠ أسير. في خيم أمريكية تتسع كل واحدة لأكثر من ٢٠ شخص. كان تقريبًا في ٣٠ خيمة في كل قسم. كان السجن مكتنًا بالكثير من الأسرى من مختلف التنظيمات. أكثرهم كان فتح.

تم تشكيل لجان سياسية لكل قسم. وكانت كل لجنة مكونة من ٥-٦ أفراد. وكان في لجنة سياسية عامة مكونة من ٢٠-٣٠ شخصًا. كان معنا الرائد صلاح التعمري والعقيد عبد العزيز أبو فضة من منطقة الخليل. وأبو محمود وهو من النشاطاء جدًا داخل السجن. كنت أنا نشيطًا في اللجان السياسية. كنت أحيانًا أخطب الجمعة في القسم. وكان الخطيب حرًا في كل ما يتحدث. كان في عتًا مكتبة وفيها كتب دخلت عن طريق الصليب. في كتب مثل تفسير ابن كثير وكتاب نهاية الإرب في فنون الأدب. أدخلنا الكثير من الأشياء التي كنا نريدها. لم يكن في زيارات وإنما رسائل من الأهل.

- ١٢ عارف خطاب (١٩٣٩-٢٠١٣ م): ولد في قرية الزيتون قضاء صفد. درس العلوم الحربية في مصر. وانضم إلى حركة فتح في وقت مبكر. شارك في تدريب عدد كبير من المقاتلين الفلسطينيين والعرب في لبنان. وشارك أيضاً في المعارك التي خاضتها المقاومة في لبنان. عاد إلى فلسطين بعد اتفاق أوسلو. وعمل في قوات الحرس الرئاسي وأصبح برتبة لواء. وتقاعد سنة ٢٠٠٨م.
- ١٣ أطلق الفلسطينيون وحلفاؤهم من الحركة الوطنية اللبنانية مصطلح الانعزاليين على قوات الكتائب اللبنانية والمتحالفين معها في إبان الحرب الأهلية.
- ١٤ حول المشاركة الفلسطينية في حرب سنة ١٩٧٣ م على الجبهة السورية. انظر: أبو قاسم، مصدر سابق، ص ٢٢٨-٢٢٨.
- ١٥ يقع مخيم تل الزعتر في منطقة بيروت الشرقية ذات الأغلبية المسيحية. وقد تعرض لحصار عدة أشهر من قبل قوات حزب الأحرار الماروني وحلفائها. واستشهد بفعل الحصار والمجازر بحق سكانه أكثر من ٥٠٠٠ فلسطيني من سكان المخيم. للمزيد من المعلومات حول هذه أحداث الحصار. اشيتية، محمد. **موسوعة المصطلحات والمفاهيم الفلسطينية**. البيرة، المركز الفلسطيني للدراسات الإقليمية، ط٢، ٢٠٠٩، ص ١٤٩-١٥٠.
- ١٦ يذكر واصف عريقات مسؤول مدفعية القوات الفلسطينية المشتركة سنة ١٩٨٢ م. أن أبو الرائد زكريا كان مع بداية حرب سنة ١٩٨٢ م نقيباً. وأنه كان ضابط ملاحظة أمامه في المدفعية في منطقة النبطية وقلعة شقيف. للمزيد من المعلومات انظر: عريقات، واصف. **هكذا صمدت بيروت، القدس** مكتب الشؤون الفكرية والدراسات، ٢٠٠٧، ص ٥٩.
- ١٧ من المؤكد أن بعض هذه العوامل كانت الدافع الرئيس وراء انضمام كثيرين من أمثال أبو الرائد إلى جيش التحرير ولحاقاً إلى الفصائل الفلسطينية المقاومة.
- ١٨ خاض أهل سلواد العديد من المعارك ضد الجيش البريطاني. وخصوصاً في منطقتي وداي البلاط وعيون الحرامية في ثورة ١٩٣٦-١٩٣٩ م. وشاركوا في معارك الدفاع عن حيفا والقدس بين عامي ١٩٤٧-١٩٤٨ م.
- ١٩ يعود هذا المصطلح إلى نزيه أبو نضال. حيث وصف فيه حالة الفلسطينيين البائسة في الأردن في خمسينيات القرن الماضي. للمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع. انظر: أبو نضال. نزيه. **مذكرات نزيه أبو نضال من أوراق ثورة مغدورة**. دمشق. شركة قَدْمَس للنشر والتوزيع، ٢٠١١، ص ١٧.
- ٢٠ ضابط فلسطيني أحضر إلى مكتب المنظمة في الكويت ليكون ملحقاً عسكرياً. وليشرف على اختبارات الانتساب إلى جيش التحرير. وقد عقد عدداً من الدورات العسكرية داخل الكويت حتى سنة ١٩٦٧. للمزيد من المعلومات حول أبو غريبة ودوره في الكويت. انظر: أبو الجبين. خير. **قصة حياتي في فلسطين والكويت**. عمان. دار الشروق، ٢٠٠٢، ط٢، ص ٣٥١-٣٥١.
- ٢١ خير الدين أبو الجبين (١٩٢٤-): ولد في يافا. عمل في التدريس. ونشط في الحركة الرياضية الفلسطينية في إبان الانتداب البريطاني. استقر في الكويت بعد النكبة وعمل في وزارتي التربية والكهرباء. انتخب عضواً في المؤتمر الفلسطيني الأول في القدس سنة ١٩٦٤. وهو أول مدير لمكتب منظمة التحرير في الكويت.
- ٢٢ يرى يزيد صايغ أن هدف تأسيس المنظمة لقوات التحرير
- ١ سيلحقها دراسة ثانية عن الفترة ما بين ١٩٨٤-١٩٩٨ م إن شاء الله تعالى.
- ٢ استعنت في إعداد السيرة الذاتية على المقابلات التي أجريتها مع أبو الرائد زكريا. وقد تمكنت من التأكد من بعض ما ورد فيها من معلومات من مصادر أخرى أشرت إليها في الهامش.
- ٣ للمزيد من المعلومات حول تأسيس جيش التحرير ودوره. انظر: **الموسوعة الفلسطينية**. دمشق. هيئة الموسوعة الفلسطينية. القسم العام. المجلد الثاني (ج-ش)، ١٩٨٤، ص ١١٦-١٢٢. وأيضاً: بدوان. علي. **صفحات من تاريخ الكفاح المسلح التكويني السياسية والفدائية المعاصرة النشأة والمصائر**. دمشق. صفحات للنشر والتوزيع، ٢٠٠٩، ص ٣٥-٣٧.
- ٤ تقع الزعفرانية جنوب شرق بغداد في نقطة التقاء نهري دجلة وديالي وتعتبر المدخل الجنوبي الرئيسي لمدينة بغداد.
- ٥ عارف عبد الرزاق (١٩٢١-٢٠٠٧): رئيس وزراء عراقي سابق. توجهاته ناصرية. انتسب إلى جيش العراق وأصبح طياراً ووزيراً للدفاع. شارك في أكثر من محاولة انقلابية على نظام الحكم. سجن عدة مرات. عاش في منفاه في بريطانيا. وتوفي هناك.
- ٦ نشأت هذه القوات برعاية الجيش العراقي في ٢٤ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٦٥. وتكونت من كتيبة صاعقة ٤٢١ وكان أغلبية كوادرها من الفلسطينيين في الكويت والأردن ولبنان. وكانت بقيادة المقدم أيوب عمار والمقدم بهجت عبد الأمين. وتمركزت الكتيبة في معسكر الرشيد في مدينة بغداد. شاركت الكتيبة في حرب سنة ١٩٦٧ ضمن اللواء الثامن العراقي على الجبهة الأردنية. إذ تولى قيادتها النقيب فخري شقورة. انظر: أبو قاسم. سلامة زيدان. **العسكرية الفلسطينية ١٩٤٨-١٩٧٣**. القدس. دار الأينام الإسلامية الصناعية. ص ١٦-١٨.
- ٧ تقع منطقة خو شرقي مدينة الزرقاء. أقيمت عليها معسكرات للجيش الأردني منذ سنة ١٩٢١ م. حيث اعتمدت كمقر للمكلفين والمستجدين في الجيش. وقد استخدمت في السيتنيات مقرًا لوحدات جيش التحرير الفلسطيني والجيش العراقي بالإضافة إلى الجيش الأردني.
- ٨ للمزيد من المعلومات حول تأسيس قوات التحرير الشعبية. الموسوعة الفلسطينية. مصدر سابق، ص ١١٩.
- ٩ تأسست منظمة فلسطين العربية في شهر آب/أغسطس ١٩٦٩ م بقيادة أحمد زعور. بعد انشقاقها عن الجبهة الشعبية - القيادة العامة. وكانت لها توجهاتها القومية والاشتراكية. وقد حلت نفسها واندمجت مع حركة فتح سنة ١٩٧١ م. للمزيد من المعلومات حول الموضوع. انظر أبو قاسم. مصدر سابق، ص ١١٤-١١٦. وأيضاً: بدوان. مصدر سابق، ص ١٢٩.
- ١٠ يؤكد هذه الرواية كل من اللواء المتقاعد عبد الرحمن صالح أبو صالح والعقيد المتقاعد حاتم عبد الغني مصطفى أحمد أبو إيا. وقد أجريت معهما مقابلاتين منفصلتين حول الموضوع يوم الخميس ٢٩ تشرين الثاني ٢٠١٣ م.
- ١١ أسسها عطا الله عطا الله في تموز/يوليو من سنة ١٩٧١ م. وضمت مجندين من مخيمات سورية وفدائيين من قواعد الأردن. وقد والت الكتيبة جماعة أبو موسى في إثر انشقاقه عن حركة فتح عام ١٩٨٣ م. للمزيد من المعلومات حول تأسيس الكتيبة انظر: صايغ. يزيد. **الكفاح المسلح والبحث عن الدولة الحركة الوطنية الفلسطينية ١٩٤٩-١٩٩٣**. بيروت. مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ٢٠٠٢، ص ٤٣٥.

- ٢٣ يحيى رياح: (١٩٤٣-): قيادي بارز في حركة فتح. ولد في قرية السوافير الشمالي قضاء المجدل انتمى إلى حركة فتح سنة ١٩٦٦ م. انتقل إلى العمل العسكري جنوب سورية سنة ١٩٧٢ م. أصبح مديرًا عامًا للإذاعات في منظمة التحرير منذ سنة ١٩٨٧ م. له العديد من المؤلفات الأدبية.
- ٢٤ كانت تابعة لهيئة التعبئة والتنظيم. وكان أمرها عثمان أبو غربية سنة ١٩٧٢ م. وأدارها سعد الجراوي ما بين ١٩٩٧-١٩٨٢ م. للمزيد من المعلومات حول مدرسة الكوادر. انظر: أبو قاسم، مصدر سابق. ص ٢٦١-٢٦٤.
- ٢٥ استقيمت المعلومات حول المواقع التي شغلها في المدفعية من اللواء واصف عريقات (١٩٤٦-) خلال مقابلة شخصية معه. وكان مسؤول المدفعية المشتركة في لبنان. ٢ كانون الأول ٢٠١٣ م. وقد ولد في أبو ديس ودرس في مدارس القدس. ثم أصبح طياراً في سلاح الجو الأردني. درس الطيران والعلوم العسكرية في بريطانيا والولايات المتحدة والباكستان. والتحق بصفوف الثورة الفلسطينية سنة ١٩٧٠ م. فشغل عدة مواقع. منها قائد مدفعية القوات المشتركة في جنوب لبنان ١٩٧١-١٩٨٢ م. عمل في وزارة الداخلية ما بين ١٩٩٥-٢٠٠٦ م. وكتب العديد من الدراسات عن تجربة الثورة الفلسطينية والشؤون العسكرية.
- ٢٦ للمزيد من المعلومات حول بدايات سلاح المدفعية الفلسطيني وتطوره. انظر: عريقات، واصف «المدفعية الفلسطينية». شؤون فلسطينية، عدد ١١٥، حزيران ١٩٨١ م. ص ٣٠-٣٧.
- ٢٧ من الدراسات المتخصصة حول الموضوع. عريقات، هكذا صمدت بيروت. مصدر سابق. ص ٢٠.
- ٢٨ انشق الملازم أول أحمد الخطيب عن الجيش اللبناني في ٢١ كانون الثاني/يناير ١٩٧٦ م. وأعلن تشكيل جيش لبنان العربي. ولقي تحركه تعاطفًا كبيرًا في قواعد وكتلتا الجيش اللبناني؛ حيث انضم إليه خلال شهر ونصف من إعلانه التمرد ٣٠٠٠ من قوات الجيش اللبناني. وشكل الخطيب دعامة رئيسة لقوات الحركة الوطنية اللبنانية المتحالفة مع قوات الثورة الفلسطينية. حول انشقاق الخطيب وعلاقته بحركته بالثورة الفلسطينية وتحديداً حركة فتح. انظر الصايغ. مصدر سابق. ص ٥٤٣.
- ٢٩ المصدر نفسه. ص ٥٤٣.
- ٤٠ كل كتيبة تحوي ثلاث بطاريات وكل بطارية أربعة مدافع. مقابلة مع واصف عريقات. مصدر سابق.
- ٤١ يؤكد هذا التوصيف واصف عريقات. حيث يرى أن أبو الرائد زكريا كان «ضابطاً لامعاً في المدفعية. محباً للإمام بكل ما يخصها من تقنيات. وقد التحق بأغلب الدورات التي أقامتها المدفعية» المصدر نفسه.
- ٤٢ يروي اللواء عبد الرحمن صالح أبو صالح أنه قاد دورية من ١٣ شخصاً بأمر من أبو جهاد بهدف الدخول إلى مخيم تل الزعتر في أثناء حصاره. وأنه كان على اتصال مباشر مع أبو الرائد زكريا عبر اللاسلكي. وشاهد بنفسه الدور الذي مارسه المدفعية وتحديداً أبو الرائد في محاولات فك الحصار. مقابلة شخصية مع اللواء أبو صالح. ٢٨ تشرين الثاني ٢٠١٣ م.
- ٤٣ يروي أحد المعاصرين لحصار تل الزعتر وكان يعمل حينها حارساً لأبي جهاد. أنه شاهد أبو الرائد زكريا وهو يصوب على دبابات المحاصرين لتل الزعتر فيصيب أبراجها. مقابلة شخصية فضّل صاحبها عدم ذكر اسمه. ٣٠ تشرين الثاني ٢٠١٣ م. وقد أكد دقة التصويب عند أبو الرائد زكريا ومهنية
- الشعبية هم عدم تجاوزها. وخصوصاً مع تصاعد عمل الفدائيين عبر الحدود الأردنية ووصول عددهم في الأغوار إلى ١٠٠٠ فدائي. للمزيد من المعلومات حول الموضوع. انظر: صايغ. يزيد. الكفاح المسلح والبحث عن الدولة الحركة الوطنية الفلسطينية ١٩٤٩-١٩٩٣. بيروت. مؤسسة الدراسات الفلسطينية. ٢٠٠٢. ص ٢٧٣.
- ٢٢ مصطفى ذيب خليل أبو طعان: (١٩٣٦-) لواء ركن. ولد في بلدة الشيخ داود. تلقى تدريباته العسكرية الأولى في العراق. ثم انتقل إلى مصر شارك في معارك الثورة الفلسطينية في الأردن. أصبح الأمين العام للكفاح المسلح الفلسطيني في لبنان. وقائد القوات الفلسطينية سنة ١٩٨٣. اعتقل على يد القوات السورية سنة ١٩٨٣ وبقي في سجن صيدنايا إلى أن أفرج عنه سنة ٢٠٠٤. حضر المؤتمر السادس لحركة فتح سنة ٢٠٠٩. وهو مقيم في طرابلس لبنان.
- ٢٤ أثنى عدد ممن عاصروا تلك المرحلة على دور قوات التحرير الشعبية في تنفيذ عمليات ضد قوات الاحتلال الإسرائيلي. مثل المناضل بهجت أبو غربية. للمزيد من المعلومات عن هذا الموضوع. انظر: أبو غربية، بهجت. من مذكرات بهجت أبو غربية من النكبة إلى الانتفاضة ١٩٤٩-٢٠٠٠. بيروت. المؤسسة العربية للدراسات والنشر. ص ٢٩٠.
- ٢٥ أكد محمد صالح حامد من جنود الجيش الأردني في تلك الفترة. أنه شاهد أبو الرائد زكريا معسكرًا مع مجموعات من الفدائيين في عجلون وتعرض موقعه لأكثر من مرة لغارات إسرائيلية. مقابلة مع محمد صالح حامد ٢٩/١١/٢٠١٣.
- ٢٦ يذكر سلامة زيدان أبو قاسم أن إحدى كتائب قوات القادسية قد تمركزت في عجلون والمفرق وشاركت في نشاطات ضد الاحتلال الإسرائيلي. وتعرضت لغارة إسرائيلية أودت بحياة عدد من أفرادها. وشاركت كتائب أخرى تابعة لها في منطقة الأغوار. وجرى تنفيذ عدد من العمليات. للمزيد من المعلومات حول قوات القادسية. انظر: أبو قاسم، مصدر سابق. ص ٦٦-٦٨.
- ٢٧ مصطفى المالكي (١٩٤٠-٢٠١١): ولد في قرية كفر مالك قضاء رام الله. التحق بالثورة الفلسطينية سنة ١٩٦٥. شغل عدة مواقع منها عضو مجلس وطني فلسطيني وعضو مجلس ثوري لحركة فتح. شارك في معارك الثورة الفلسطينية في لبنان. عين محافظاً لقليلية بعد إنشاء السلطة الفلسطينية.
- ٢٨ ضابط سابق في الجيش الأردني له توجهات قومية. عمل في الساحة الأردنية. أسس منظمة فلسطين العربية. انضم لاحقاً إلى حركة فتح.
- ٢٩ للمزيد من المعلومات حول تعاون ضباط وجنود من الجيش الأردني مع الفدائيين في إبان العمليات ضد مواقع القوات الإسرائيلية. انظر: صايغ. مصدر سابق. ص ٢٧٣.
- ٣٠ أبو قاسم، مصدر سابق. ص ٢٢٨-٢٣٨.
- ٣١ تشابه رواية أبو الرائد زكريا عن الدورة العسكرية التي أتمها في مصر ما رواه نزيه أبو نضال. أحد كوادر حركة فتح. عن تفاصيل دورة أخذها في مصر في أواخر ستينيات القرن الماضي. انظر أبو نضال. مصدر سابق. ص ٤٦-٤٧.
- ٣٢ عثمان أبو غربية: (١٩٤٦-) قيادي بارز في حركة فتح. ولد في القدس. درس العلوم العسكرية في الصين والاتحاد السوفياتي. أسس مع آخرين مدرسة الكوادر العسكرية التابعة لحركة فتح. شارك في معارك الثورة الفلسطينية في الأردن ولبنان. تقاعد وهو برتبة لواء. له العديد من المؤلفات في العلوم العسكرية والتنظيمية والأدب.

واصف عريقات مسؤوله في المدفعية.

- ٤٤ عريقات، مصدر سابق، ص ١٩. انظر أيضًا، الصايغ، مصدر سابق، ص ٥٧١.
- ٤٥
- ٤٦ أكد اللواء أبو صالح الذي كان محاصرًا في الكحالة في حينه دور أبو الرائد في فك الحصار عن المقاتلين. أبو صالح، مصدر سابق.
- ٤٧ يحوي كتاب رافائيل إسرائيلي حول وثائق منظمة التحرير في لبنان عددًا من الوثائق الخاصة بالمدفعية الفلسطينية كتبت بخط يد مسؤوليها آنذاك واصف عريقات. تتعلق بعدد الهجمات الفلسطينية ونوعها وأهدافها وتوقيتها والوحدة التي نفذتها. انظر الوثيقتين اللتين تعودان إلى شهري تموز/يوليو وأب/أغسطس ١٩٨١ م:
- Israeli, Raphael, *PLO in Lebanon, Selected Documents*, Weidenfeld and Nicolson, 1983, P 28 and 212.
- ٤٨ يؤكد الصايغ على أن خسائر المدفعية الفلسطينية لم تكن في اجتياح سنة ١٩٧٨ م سوى مدفعًا واحدًا. الصايغ، مصدر سابق، ص ٦٠٥.
- ٤٩ استشهد كل من عبد الرحيم جميل مرعي سنة ١٩٧٢ م، وأخو الأسير القسامي إبراهيم حامد، مقابلة مع نعيم جميل مرعي ٢٠١٣ الأول م.
- ٥٠ كانت توقعات الفلسطينيين في حينه اجتياح كامل للجنوب اللبناني دون الوصول إلى بيروت. للمزيد من المعلومات، انظر صايغ، مصدر سابق، ص ٧٢٢-٧٢٥.
- ٥١ المصدر نفسه، ص ٧٢٢.
- ٥٢ المصدر نفسه، ص ٧٣٥.
- ٥٣ حول التقدم السريع للجيش الإسرائيلي وصولاً إلى مشارف بيروت، انظر، الصايغ، مصدر سابق، ص ٧٣٤-٧٤١.
- ٥٤ بروي واصف عريقات أنه غيّر موقع غرفة عملياته أربع مرات خلال الأيام الثلاث الأولى من القتال فانتقل باتجاه الشمال من قرية تفتحنا إلى الزهراني ثم صيدا فتلة السبيرة شمال شرق صيدا، ثم إلى مخيم عين الحلوة، حيث أمر رجاله بتقسيم أنفسهم إلى مجموعات والقتال على الأرض. مقابلة مع واصف عريقات مصدر سابق.
- ٥٥ يشير واصف عريقات إلى أن القوات الفلسطينية كانت تمتلك في حرب سنة ١٩٨٢ م ثلاث كتائب مدفعية (فدائية)، كتيبة مدفعية مقاومة طائرات، كتيبة راجمات صواريخ، المصدر نفسه، ص ١٣.
- ٥٦ روى لي واصف عريقات بأن الجيش الإسرائيلي كان يعدم كل من يقبض عليه من ضباط المدفعية أو القناصة، وأن عدم اعتراف أبو الرائد ساهم في بقائه بعيدًا عن أنظار الجيش الإسرائيلي الذي كان يبحث عنه في كل مكان.

المصادر والمراجع الكتب

١. أبو الجبين، خير الدين، قصة حياتي في فلسطين والكويت، عمان، دار الشروق، ط١، ٢٠٠٢.
٢. أبو غربية، بهجت، من مذكرات بهجت أبو غربية من النكبة إلى الانتفاضة ١٩٤٩-٢٠٠٠، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ٢٠٠٤.
٣. أبو فاسم، سلامة زيدان، العسكرية الفلسطينية ١٩٤٨-١٩٧٣ القدس، دار الأيتام الإسلامية الصناعية، ط١، ٢٠٠٩.
٤. أبو نضال، نزيه، مذكرات نزيه أبو نضال من أوراق ثورة مغدورة، دمشق، شركة قَدَمَس للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠١١.
٥. اشتية، محمد، موسوعة المصطلحات والمفاهيم الفلسطينية، البيرة، المركز الفلسطيني للدراسات الإقليمية، ط٢، ٢٠٠٩.
٦. بدوان، علي، صفحات من تاريخ الكفاح المسلح التكوينية السياسية والفدائية المعاصرة النشأة والمصائر، دمشق، صفحات للنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٩.
٧. عريقات، واصف، هكذا صمدت بيروت، القدس، مكتب الشؤون الفكرية والدراسات، ط١، ٢٠٠٧.
٨. صايغ، يزيد، الكفاح المسلح والبحث عن الدولة الحركة الوطنية الفلسطينية ١٩٤٩-١٩٩٣، بيروت، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ط١، ٢٠٠٢.
٩. عريقات، واصف، «المدفعية الفلسطينية»، شؤون فلسطينية، عدد ١١٥، حزيران ١٩٨١.
١٠. الموسوعة الفلسطينية، دمشق، هيئة الموسوعة الفلسطينية، القسم العام، المجلد الثاني (ج-ش)، ١٩٨٤.

المقابلات الشخصية

١. مقابلة شخصية مع العقيد المتقاعد حاتم عبد الغني مصطفى أحمد، يوم الخميس ٢٠١٣/١١/٢٩.
 ٢. مقابلة شخصية مع اللواء المتقاعد عبد الرحمن صالح، يوم الخميس ٢٠١٣/١١/٢٩.
 ٣. مقابلة شخصية مع السيد محمد صالح حامد، الجمعة ٢٠١٣/١١/٢٩.
 ٤. مقابلة شخصية مع السيد نعيم جميل مرعي، الإثنين ٢٠١٣/١٢/٢٢.
 ٥. مقابلة شخصية مع اللواء المتقاعد واصف عريقات، الإثنين ٢٠١٣/١٢/٢٢.
- Israeli, Raphael, *PLO in Lebanon, Selected Documents*, Weidenfeld and Nicolson, 1983.